٢٢٪ من جميع الوفيات عالميا مرتبطة بالعوامل البيئية وزهاء ٤٢٠ الف شخص يموتون سنوياً بسبب الغذاء الملوّث

رولى راشد

"ليكن طعامك دوائك ودوائك طعامك"
أبقراط

لاشك ان أبقراط ادرك اهمية الغذاء الذي يدخل الى جسم الانسان ويحدث فيه المتغيرات على مراحل عمره. ومع تنوّع الاغذية اصبح الأمر اكثر تعقيدا. وانطلق الغذاء من كونه قوتا يوميا يحتاج اليه الجسم لينمو ويستعيد عافيته الى ان اصبح لذة فيه المذاق يفتح الشهية ويشغل البشرية.

تشكل الأغذية غير المأمونة أخطاراً صحية عالمية النطاق تهدد كل فرد. ومن المعرضين للمخاطر بوجه خاص الرضع وصغار الأطفال والمسنون والأشخاص المصابون باعتلالات.

وتسبب الأغذية غير المأمونة عوارض من الإسهال وسوء التغذية، مما يهدد الحالة التغذوية لأضعف الناس. وحيثما يغيب الأمن الغذائي يجنح الناس إلى التحول نحو نظم غذائية أقل صحة، ويستهلكون المزيد من «الأغذية غير المأمونة»، والتي تشكل الأخطار الكيميائية والميكروبيولوجية، وغيرها من الأخطار الموجودة فيها، مخاطر على الصحة.

لقد أدى التوّسع العمراني والتغيرات الطارئة على عادات المستهلك، بما في ذلك السفر، إلى زيادة عدد الأشخاص الذين يشترون ويأكلون الأغذية المجهزة في الأماكن العامة، ودفعت العولمة نمو طلب المستهلك على تشكيلة أوسع من الأغذية، الأمر الذي أدى إلى زيادة السلسلة الغذائية تعقيداً وطولاً.

ومع نمو عدد سكان العالم يؤدي تكثيف وتصنيع الإنتاج الزراعي والحيواني من أجل تلبية الطلب المتزايد على الغذاء إلى إيجاد فرص وتحديات في ما يتعلق بالسلامة الغذائية. ومن المتوقع أن يؤثر تغيّر المناخ على السلامة الغذائية، حيث تعدّل التغيرات في درجات المخاطر المتعلقة بالسلامة الغذائية والمرتبطة بإنتاج الغذاء وتخزينه وتوزيعه.

وتضع التحديات مسؤولية أكبر على منتجي الأغذية ومناوليها من أجل ضمان السلامة الغذائية. ويمكن أن تتطور الحوادث المحلية بسرعة لتصبح طوارئ دولية بفعل سرعة ونطاق توزيع المنتجات. وقد حدثت فاشيات لأمراض خطيرة منقولة بالغذاء في كل مختلف القارات.

إن الغذاء يمكن أن يتلوث في أي نقطة من نقاط عملية إنتاج الأغذية وتوزيعها. وتقع المسؤولية الرئيسية عن ذلك على عاتق منتجي الأغذية. ومع ذلك فإن نسبة كبيرة من الإصابة بالأمراض المنقولة بالغذاء تتسبب فيها أغذية تم إعدادها أو مناولتها بشكل غير سليم في المنزل أو في مؤسسات الخدمات الغذائية أو في الأسواق. وليس كل القائمين على مناولي الأغذية ولا كل مستهلكيها يدركون الأدوار التي يجب أن يقوموا بها، مثل تطبيق قوانين النظافة الصحية عند شراء الأغذية وبيعها وتحضيرها من أجل حماية صحتهم وصحة المجتمع المحلي عموماً..

اثار التلوّث على الصحة

تشير الإحصاءات الصحية العالمية بوضوح إلى أن **حوالي ٢٢٪ من جميع الوفيات في جميع أنحاء العالم مرتبطة بالعوامل البيئية**. وهي تلحظ أن ٢٤٪ من عبء المرض و٢٣٪ من الوفيات تعزى إلى أسباب بيئية وأن ٣٦ ٪ من عبء المرض لدى الأطفال ناجم عن عوامل بيئية.

أهم عوامل الخطر السائدة تشمل: المياه والصرف الصحي، وتلوث الهواء، والتعرض للمواد الكيميائية والنفايات وتلوث الأغذية.

في لبنان، اسفرت أزمة التخلص من النفايات الحادة الأخيرة عن تفاقم وتسريع آثار التدهور البيئي المزمن على صحة السكان، مما زاد بشكل كبير من التعرض للملوثات العضوية والميكروبيولوجية والكيميائية. وصل تلوث المياه والهواء والتربة إلى مستويات تنذر بالخطر. ووفق دراسة لبرنامج الرصد المشترك (JMP) في عام ٢٠١٦ (منظمة الصحة العالمية - اليونيسف) حوالي ٥٣٪ من الأسر في لبنان لا تحصل على المياه المأمونة. تشير مراقبة جودة الهواء والماء إلى أن مستويات تلوث الهواء تصل إلى ٧ أضعاف المستوى القياسي المقبول لدى منظمة الصحة العالمية. وبلغ معدل انتشار التدخين بين البالغين ٣١,٦٪ بين النساء و٤٦,٨٪ بين الرجال البالغين.

مع التطورات الهائلة في وقتنا الحالي والنهضة الصناعية والعلمية الحديثة وزيادة الكثافة السكانية في العالم ظهرت مشكلة التلوث في العالم بلا استثناء، وحسب علماء البيئة يعرف التلوث بأنه إدخال الملوثات والمواد الغريبة إلى البيئة الطبيعية مما يؤدي إلى إلحاق الضرر بها ويسبب الإضطراب في النظام البيئي، وهذه الملوثات إما أن تكون مواد جديدة غير موجودة بالحالة الطبيعية في البيئة أو أن تكون موجودة ولكن إختلت نسبتها.

أنواع التلوث

وللتلوث أنواعٌ عدة منها فقد قام العلماء بتصنيفها بناءً على طبيعتها ومصدرها وأين توجد، وأبرز أنواع التلوث هي:

• التلوث الغذائي، فالإستخدام الجائر للمبيدات الحشرية يؤدي إلى حصول أضرار عديدة على البيئة و الإقتصاد ويؤدي إلى التلوث الغذائي.
• التلوث الهوائي، ويحدث هذا التلوث من عدة مصادر والتي قد تكون طبيعية أو من الأنشطة المختلفة للإنسان، الطبيعية مثل العواصف والرعود والإمطار والزلازل والفيضانات، ويسهم الإنسان بالجزء الأكبر في حدوث التلوث الهوائي عن طريق مخلفات الصرف الصحي والنفايات والمخلفات الصناعية والزراعية والطبية والنفط ومشتقاته مما يلحق الضرر بالبيئة ويؤدي إلى التلوث الهوائي.
• التلوث المائي، فالماء ينزل إلى الأرض بصورة نقية، خالية من الجراثيم والمايكروبات ولكن نتيجة للتطور الصناعي الهائل يتعرض الماء للعديد من المشكلات مما يحوله إلى ماء غير صالح للشرب والاستهلاك الآدمي، ومن أكثر الأمثلة على ذلك تلوث ماء المطر بما تطلقه المصانع من أبخرة وغازات، ونتيجة لذلك نشأ ما يسمى بالمطر الحمضي.
• التلوث الإشعاعي، وهو من أخطر أنواع الملوّثات التي يسببها الإنسان، وقد يظهر تأثير هذا التلوث بصورة سريعة ومفاجئة على الكائن الحي، كما قد يأخذ وقتاً طويلاً ليظهر في الأجيال القادمة، ومنذ الحرب العالمية الثانية وحتى وقتنا الحالي استطاع الإنسان استخدام المواد المشعة في إنتاج أخطر القنابل النووية والهيدروجينية.

ووفق منظمة الصحة العالمية هناك سلسلة اجراءات لمواجهة ملوّثات الغذاء اهمها:

• إقامة وصون نظم وبنى تحتية غذائية ملائمة خاصة بالغذاء (مثل المختبرات) للاستجابة وإدارة المخاطر ذات الصلة المحدقة بالسلامة الغذائية على امتداد السلسلة الغذائية بأكملها، بما يشمل حالات الطوارئ؛
• تعزيز التعاون المتعدد القطاعات بين قطاعات الصحة العمومية وصحة الحيوان والزراعة وسائر القطاعات من أجل تحسن التواصل والعمل المشترك؛
• إدراج مسألة السلامة الغذائية ضمن السياسات والبرامج الغذائية الاكثر شمولية (مثل التغذية والأمن الغذائي)؛
• التفكير من منظور عالمي والعمل من منظور محلي لضمان أن تكون الأغذية المنتجة محلياً مأمونة دولياً.

وهناك حقائق لا يمكن تجاهلها بهذا الشأن وهي :
• إتاحة كميات كافية من الأطعمة المغذية والمأمونة هي مفتاح الحفاظ على الحياة وتعزيز التمتع بالصحة الجيدة.
• الأغذية غير المأمونة والتي تحتوي على جراثيم ضارة أو فيروسات أو طفيليات أو مواد كيميائية تتسبب في الإصابة بأكثر من ٢٠٠ مرض، تتراوح بين الإسهال والسرطان.
• **تشير التقديرات إلى وجود ٦٠٠ مليون شخص، بواقع شخص واحد تقريباً من أصل كل ١٠ أشخاص في العالم، ممّن يسقطون في براثن المرض بعد تناول طعام ملوث، وإلى وجود ٤٢٠ الف شخص آخر ممّن يموتون سنوياً، مما يسفر عن فقدان ٣٣ مليون شخص من الذين يتمتعون بحياة صحية** (على أساس سنوات العمر المعدّلة باحتساب مدد العجز).
• ويتحمل الأطفال دون سن الخامسة نسبة ٤٠٪ من عبء الأمراض المنقولة بالغذاء، ويموت منهم سنوياً ١٢٥ الف طفل.
• وأمراض الإسهال هي من أكثر الأمراض شيوعاً التي تنجم عن استهلاك أغذية ملوثة وهي تتسبب في سقوط ٥٥٠ مليون شخص في حبائل المرض وتحصد أرواح نحو ٢٣٠ الف شخص آخر سنوياً.
• الأمراض المنقولة بالغذاء تعرقل التنمية الاجتماعية الاقتصادية، إذ إنها تفرض عبئاً ثقيلاً على النظم الصحية، وتلحق الضرر بالاقتصادات الوطنية وبقطاعي السياحة والتجارة.
• سلاسل توريد الأغذية تعبر الآن عدة حدود وطنية

الامراض الرئيسية المنقولة بالغذاء والمضادات الحيوية

عادة ما تكون الامراض المنقولة بالغذاء ذات طابع مُعدٍ أو سمي، وتتسبب فيها جراثيم أو فيروسات أو طفيليات أو مواد كيميائية تدخل جسم الإنسان عن طريق الغذاء الملوّث أو الماء الملوّث.

ويمكن أن تتسبب مسببات الأمراض المنقولة بالغذاء في الإصابة بالإسهال الحاد أو بحالات عدوى موهنة، بما في ذلك التهاب السحائي.

ويمكن أن يتسبب التلوث الكيميائي في الإصابة بالتسمم الحاد أو بأمراض طويلة الأمد كالسرطان. ويمكن أن تتسبب الأمراض المنقولة بالغذاء في العجز الطويل الأمد والوفاة. ومن أمثلة الأغذية غير المأمونة الأغذية الحيوانية المصدر غير المطهية جيداً، والفواكه والخضروات الملوثة بالبراز، والمحاريات النيئة المحتوية على التكسينات البيولوجية البحرية.

وبدون الدخول بانواع الامراض التي يسببها التسمم الغذائي وهي متعددة مثل السالمونيلا والعطيفة والإشريكية القولونية المعوية النزفية والكوليرا ... لا بد من الاشارة الى نشوء ضرورة من اجل استعمال مضادات الميكروبات، مثل المضادات الحيوية، لعلاج حالات العدوى التي تتسبب فيها الجراثيم. ومع ذلك توجد صلة بين الإفراط في استعمالها، وإساءة استعمالها، في الطب البشري والطب البيطري وبين ظهور وانتشار جراثيم مقاومة، الأمر الذي يجعل العلاج من الأمراض المُعدية غير فعال في الحيوانات والبشر. وتدخل الجراثيم المقاومة السلسلة الغذائية عن طريق الحيوانات (مثل دخول السالمونيلا عن طريق الدجاج). وتُعد مقاومة مضادات الميكروبات من أهم التهديدات المحدقة بالطب الحديث.

ودون ان ننسى انه من أهم الشواغل المقلقة بالنسبة إلى الصحة التكسينات المفرزة طبيعياً والملوثات البيئية.

آثار التلوث على الاقتصاد

إنَّ صحة الإنسان معرّضة للخطر بالدرجة الأولى، حيث تسبب هذه الملوثات الضرر والأمراض والأوبئة، بعضها آني وبعضها لا يتم تشخيصه إلا بعد مرور فترة كبيرة. ولا يؤثر التلوث على الصحة والبيئة فقط بل يؤثر أيضًا على الاقتصاد وذلك من خلال إرتفاع تكاليف العلاج وضياع أيام العمل، وتأثر الأراضي الزراعية وقلة إنتاجيتها، وزيادة تكاليف معالجة المياه بالأضافة إلى فقدان الثروة النباتية والحيوانية.

من هنا، يقفز موضوع سلامة الغذاء وجودة المياه الى سلم اولويات منظمة الصحة العالمية حيث من المفترض ملاقاة جهودها بتحرّك سريع ودعم كبير للسلطات الرسمية بما يؤمن الحماية اللازمة للصحة العامة. السلامة الغذائية وتلوث المياه في عالم آخذ في التطوّر هو الملف في هذا العدد في «الصحة والانسان» بعدما تم تناول هذا الموضوع الحسّاس في اكثر من عدد سابق نظرا لأهميته.